وعلى خلفية هذا الموقف، ليس من المستبعد، أبداً، ان يلجأ الاردن، فيما اذا عُقد مؤتمر دولي وظهرت خلاله صعوبات، كما من المتوقع ان يكون، الى اكمال المشوار لوحده، بعقد اتفاقيات ثنائية مع اسرائيل، علنية او سرية، صريحة او ضمنية، كما فعل اكثر من مرة، ومرة، ومرة في الماضي؛ بل ان موقفه، هذه المرة، قد يكون اكثر قوة، اذ يمكن الادعاء بأن هنالك مؤتمراً دولياً «بارك» مثل هذه الخطوات. فهل اتخذ عشاق المؤتمر الدولي ما هو ضروري من الاحتياطات لمجابهة مثل هذا الوضع، ان نشأ ؟

اما موقف مصر في مثل هذا المؤتمر، الذي يفترض ان تشارك فيه باعتبارها من كبار الداعين اليه، والمتحمسين له، فانه لن يقدم ولا يؤخر، في مواجهة التعنت الاسرائيلي. فمع توقيع اتفاقية السلم الاسرائيلية ـ المصرية، لم تضع مصر نفسها فقط خارج اطار الصراع العربي ـ الاسرائيلي، بل ان كلمتها باتت، أيضاً، غير مسموعة في اسرائيل. ولعل خير دليل على ذلك هو ان خلافاً كبيراً، حول منطقة صغيرة، لا يزال مستعراً بين البلدين منذ بضع سنوات، سببه مطالبة مصر باعادة بضع مئات من الامتار المربعة في منطقة طابا اليها. غير انه على الرغم من ذلك كان في امكان مصر، خصوصاً بعد ان ظهر خلال السنوات الاخيرة انها باتت «تقبض» المنظمة جدياً، ومن خلال علاقات «الود» التي تربطها ببعض الدوائر الاسرائيلية والاميركية، ان تلعب دوراً سلبياً مفيداً، ان صح التعبير، في مثل هذا المؤتمر، وذلك بمحاولة احتواء الدور التآمري التخريبي السوري التقليدي، من جهة، او تحجيم محاولات الالتفاف الاردنية، من جهة اخرى. الا ان المجلس الوطني الموقر، برضوخه للشعبوقراطيين، وجّه طعنة لهذا الدور، أيضاً.

ويضاف الى ذلك كله ان مواقف هذه الدول العربية، ناهيك عن مواقف غيرها من الاطراف، ليست متجانسة، او حتى متشابهة، من حيث نظرتها الى كيفية حل القضية الفلسطينية، من ناحية، او الدور الذي يُفترض ان تلعبه منظمة التحرير الفلسطينية، او الفلسطينيون عامة، من ناحية اخرى. واسرائيل تدرك هذا الواقع جيداً، الذي ينم عن موقف اقل ما يقال فيه انه غير موحّد. وكان زعيم حزب العمل الاسرائيلي وصف هذه الحالة، على طريقته، بقوله ان لـ م.ت.ف. شعبية كبيرة في العالم العربي، لدرجة ان كل دولة عربية تريد م.ت.ف. خاصة بها. ولا حاجة الى القول ان اسرائيل (وغيرها) سوف تعمل على استغلال مثل هذا الوضع، كعادتها، في المؤتمر الدولي، في حال عقده، على ما قد يؤدي اليه ذلك من عواقب وخيمة.

ولا يمكن بالطبع الادعاء، ولا الايحاء، بأن هذا الواقع غير معروف جيداً لكبار المنظرين للمؤتمر الدولي والمخططين له. واذا كان «اليمينيون» من بينهم يجيبون، بتواضع: لا بأس، دعونا نجرّب على الاقل، فان المستيسرين منهم يكادون ينقضون عليك، رافعين سبابتهم ومؤنبين، «مفهمينك» ان اتحاد«هم» السوفياتي سوف يكون هناك؛ وهذا كاف. ولكن الحقيقة هي ان هناك من المعطيات والوقائع التي تظهر، او على الاقل تثير شكوكاً كبيرة، أن ذلك غير كاف بتاتاً. فحال الاتحاد السوفياتي، بطوله وعرضه، في هذا الصدد، وحال باقي الاصدقاء «الاممين» ليس احسن بكثير من حال الاشقاء «الامويين». وكما لا يمكن الاتكال على اولئك، لا يجوز، ايضاً، الاعتماد على هؤلاء. ولا حاجة الى ان يطعم المستيسرون انفسهم، او يطعموننا معهم، جوزاً فارغاً. بل نذهب الى ابعد من ذلك لنقول ان لا حاجة الى ان تطعمنا قيادات م.ت.ف. بأسرها جوزاً فارغاً. فمسألة المؤتمر الدولي لا تجابه بمعارضة جدية من قبل اي تنظيم او زعيم مقاومي، ويبدو ان المواقف بشأنها نسقت سلفاً مع السوفيات. ويرى بعض المطلعين ان حمى الوحدة الوطنية التي اشتدت فجأة، وفتح ابواب باتجاه سوريا، ثم قبول الشيوعيين «فصيلاً» في المجلس الوطني، وحتى انتخاب ممثل عنهم في اللجنة التنفيذية، تمت بناء على نصائح السوفيات، من جهة، ولاسترضائهم وكسب ودهم، من جهة اخرى. والواضح ان هنالك تطابقاً